مجلة المعيار ISSN :1112-4377

مجلد:27 عدد:5 (رت 74) السنة: 2023

منهج شوقي أبو خليل في الدفاع عن القرآن الكريم

من خلال كتابه: " الإسلام في قفص الإتهام"

Shawqi Abou Khalil 's approach to defending the Holy Qur'an through his book: "Islam in the Dock"

نعيمة بلفروم[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

مخبر الدراسات القرآنية والسنة النبوية

naimabelferroum@gmail.com

أ.د حدّة سابق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

tesnim4025@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/12/24 القبول 2023/07/19 النشر على الخط 2023/09/15

Received 24/12/2022 Accepted 19/07/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

لقد قيض الله لهذه الأمة علماء ودعاة وهبوا حياتهم ووقتهم للقرآن الكريم وللإسلام، حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يقفوا على ثغور الإسلام مرابطين بأقلامهم و أفكارهم ضد أي عدو أو متربص، سواء كان من المستشرقين الحاقدين أو من الحداثيين المقلدين، نذكر من هؤلاء الدكتور شوقي أبو خليل العلم الرباني الذي سعى من خلال مؤلفاته إلى الدفاع عن الإسلام وتاريخه من شبهات المغرضين، ويعد كتابه"الإسلام في قفص الإتهام" من أشهر الكتب الدفاعية عن القرآن الكريم، وقد اشتهر وذاع صيته في الأرجاء وترجم إلى لغات أخرى، وهذا إن دل على شيء فهو دليل على القيمة العلمية للكتاب، وقد استخدم فيه الدكتور أسلوب مميزا حيث جعله عبارة عن محاكمات، فيها متهم وهو في الغالب شبهة لأحد المستشرقين أو مجموعة منهم، ومتَّهم وهو الإسلام الذي يمثله رد الدكتور، وقاض وهو العقل السليم والمنطق الرزين، حيث أنه لا يصدر الحكم في النهاية إنما يتركه للقارئ ليحكم بنفسه.

لقد استخدم الدكتور شوقي مناهج متعددة للدفاع عن القرآن الكريم وعلومه، وقد كانت هذه المناهج متكاملة متداخلة فيما بينها داحظة للشبهة عن بكرة أبيها، وقد جاء هذا البحث لبيان هذه المناهج و عَدها، وبيان فعاليتها وجدواها من عدمه.

الكلمات المفتاحية: منهج، شوقي أبو خليل، دفاع، القرآن الكريم.

Abstract:

God has ordained for this nation scholars and preachers who have devoted their lives and time to the Holy Qur'an and Islam. They attempted with all their might to stand on the frontiers of Islam with their pens and ideas against any enemy or stalker, whether it was from the hateful Orientalists or the modernist imitators . Among them there is Dr. Shawqi Abou Khalil the rabbinic scholar , who endeavoured through his books to defend Islam and its history from blasphemy suspicions , as his book ''Islam in the Dock'' is one of the most famous books to defend the Holy Qur'an .As it has become well known and spread throughout the world and has been translated into other languages, it indicates the evidence of the scientific value of the book . Futhermore, The doctor used a distinctive approach where he made a form of trials, in which the accused, who is often a suspicion of one of the orientalists or a group of them, and a defendant, which is Islam represented by the doctor's response, and a judge, who is the right reason and sober logic, he does not issue the provision in the end, but leaves it to the reader to judge by himself.

Therefore, Dr. Shawqi used multiple approaches to defend the Holy Qur'an and its sciences, as these approaches were integrated and intertwined with each other, noting all the suspicion. This research came to explain these approaches and their promise,so as to show their effectiveness and feasibility or not

***Keywords** : Approach , Shawqi Abou Khalil , Defense , The Holy Qur'an.*

---

[1] المؤلف المراسل: نعيمة بلفروم البريد الإلكتروني: **naimabelferroum@gmail.com**

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد:

منذ نزول القرآن الكريم من السماء الدنيا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحاقدون على القرآن والإسلام في حرب دؤوب معه، يبحثون عن الثغرات فيه ويطرحون الشبهات حوله،، ويتنجمون مصدر استيقائه، هذا الكتاب السماوي الذي تكفل المولى عز وجل بحفظه من كل تحريف وتبديل، وعلى الرغم من وضوح ذلك في كتاب الله عز وجل للعامة والخاصة ، إلا أن المكابرين المجحفين لرسالة الإسلام في عمل دؤوب للطعن في القرآن الكريم، ولكن هيهات أن يصلوا إلى مرادهم، فالله عز وجل تكفل بحفظه وقيض له علماء يدافعون وينافحون عنه.

من هؤلاء الدكتور شوقي أبو خليل الذي وهب حياته للدفاع عن القرآن الكريم وشريعة الإسلام، فألف لنا مجموعة من الكتب عرَف فيها بالإسلام وتاريخه، ورد الشبهات والافتراءات عن القرآن الكريم، منها كتابه الحافل" الإسلام في قفص الإتهام"، الذي يعد من أبرز مؤلفاته التي قصد بها التعريف بالإسلام والرد على الافتراءات التي طرحها المستشرقون والمستغربون، الذي وجه للغرب خاصة؛ وهذا من أجل التعريف بالإسلام وتكذيب كل ما يروجه المستشرقون حوله من أكاذيب وضلالات.

وقد ألفه بأسلوب فريد لم نعهده من قبل، حيث أنه نسج الكتاب على شكل محاكمة فيها متَهم وهو في الغالب شبهة لمستشرق غالي أو مجموعة منهم، ومتَّهم وهو الإسلام – الذي يمثله الدكتور–الذي يرد على هذه الشبه، أما القاضي فهو العقل السليم للقارئ الذي يحكم بنفسه على الجلسة بعد القراءته . هذا ماجعل الكتاب يلقى رواجا كبيرا من القراء حتى أنه ترجم إلى لغات عدة.

وفي حديثنا عن المناهج التي استخدمها الدكتور شوقي أبو خليل في سبيل الدفاع عن القرآن الكريم، نجده قد أجاد فيها ورد عن مختلف الشبه المطروحة بأسلوب علمي موضوعي وبأمانة علمية متناهية، تثير مجموعة من التساؤلات والانشغالات حول هذه المناهج المستعملة:

*من هو الدكتور شوقي أبو خليل، وماهو منهج تأليفه لكتابه" الإسلام في قفص الاتهام"؟

*ما هي أهم الشبهات المثار حول القرآن الكريم وماهو مصدرها؟

*ماهي أهم المناهج التي استخدمها الدكتور في الدفاع عن القرآن الكريم وعلومه؟

وللإجابة عن هاته التشاؤلات، استخدمنا عدة مناهج للبحث، منها المنهج الاستقرائي حيث أنني اطلعت على الكتاب واستخرجت أهم الشبهات التي طرحها الدكتور حول القرآن الكريم وعلومه.

ثم استخدمت المنهج التحليلي لتحليل أسلوبه في الرد واستخراج المناهج الدفاعية المستعملة.

وللإشارة فإنني لم أجد دراسات سابقة حول هذا الموضوع أو دراسة مقاربة له في الموضوع حسب استقصائي القاصر والله أعلم.

2. المطلب الأول: التعريف بالمؤلَّف وبالمؤلف.

1.2. الفرع الأول: التعريف ب "شوقي أبو خليل".

ولد الدكتور شوقي أبو خليل يوم 14 رمضان 1431هـ الموافق ل1941م في بيسان بفلسطين، قصد دمشق مع أسرته عام النكبة صغيرا، وأكمل دراسته الجامعية في كلية الآداب قسم التاريخ في جامعة دمشق عام 1965م، ثم ذهب إلى أذربيجان ليحصل هناك على دكتوراه في التاريخ من أكاديمية العلوم. وقد كان كتابه" الإسلام في قفص الإتهام" بداية رحلته الثقافية وعطائه العلمي في دار الفكر عام 1968م عمل مدرسا لمادة التاريخ في ثانويات مختلفة في المحافظات السورية، ثم تدرج في المناصب الإدارية، عمل مديرا للتحرير في دار الفكر منذ عام 1991م، حتى وافته المنية يوم الثلاثاء 24 أوت 2010م، وهي الدار التي أصدر منها كتبه الأخيرة.[1]

أما فيما يخص الكتب التي قدمها الدكتور فقد تجاوزت السبعين كتابا فضلا عن عشرات الكتيبات للكبار والصغار، من بينها: آراء يهدمها الإسلام، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، أطلس التاريخ العربي الاسلامي... [2].

ومما يلاحظ في هذه المؤلفات أنها تدور حول الدفاع عن الإسلام والسنة النبوية، أو تتحدث عن التاريخ العربي الإسلامي والغربي وعن الاستشراق، وهذا يدل على تديَن الرجل، وغيرته على دينه وتاريخه الإسلامي.

لقد حزنت دار الفكر بأكملها على وفاة الدكتور شوقي أبو خليل ورثته، حيث كتب الدكتور وليد قصاب قصيدة في رثاء الدكتور في اثني وعشرين بيتا يعبر فيها عن حزنه لفقدان أخيه شوقي، ننقل منها الأبيات الأربعة الأخيرة:

إني حزين، دمعتي في خافقي منها على جفنيَ بعض نثار
لكنني راض بما قسم الإله لنا: ما هذه الدنيا بدار قرار
متصبر، والصبر حصن الأتقيا ما فاز غير المؤمن الصبار
شوقي" أبو المعتز" حي خالد آثاره جلت على الآثار.[3]

2.2.الفرع الثاني: التعريف بكتاب " الإسلام في قفص الاتهام".

وصف الكتاب:

المؤلف عبارة عن كتاب متوسط الحجم، في حدود 396 صفحة كما هو في طبعته الخامسة، صادر عن دار الفكر في أغلب طبعاته، كانت الطبعة الأولى في سنة1971م، أما الطبعة الثانية فقد كانت سنة 1974م، أما طبعته الأخيرة فكانت سنة 1982م. ترجم الكتاب إلى اللغة الفارسية عن طريق دار " انتشارات بعثت" في طهران وإلى اللغة الأندونيسية.[4] فهو بحق كتاب فريد قيم من نوعه في مجال الدفاع عن الإسلام وتاريخه.

[1]– ويكيبيديا، شوقي أبو خليل، 03-09-2021م. ar.m.wikipedia.org .

[2]– بعض من سيرة المؤرخ المربي البحاثة ئوقي أبو خليل رحمه الله، دار الفكرة، 27 سبتمبر2010م، wab. Archive.org

[3]– في رثاء المرحوم شوقي أبو خليل، د وليد قصاب، دار الفكر،27-09-2010م، wab.archive.org.

[4]– ينظر: الإسلام في قفص الإتهام، شوقي أبو خليل، دار الفكر، ط5، 1402هـ/ 1982م، ص6.

استُفتح الكتاب بمقدمة طويلة تحدث فيها عن سبب تأليفه للكتاب، وطريقة عمله فيه، كما أنه تطرق إلى مسألة مهمة وهي التفريق بين المستشرقين فهم ليسوا شاكلة واحدة بل ثلاث أصناف: جاحدون متعصبون، وهناك أصحاب النية الحسنة الذين لم يتبينوا حقيقة الادعاءات التي تخرج من أفواههم، و المنصفون الموضوعيون...[1]

احتوى الكتاب على عشرين جلسة، تنوعت محتوياتها بين شبهات موجهة إلى القرآن الكريم مصدرا وفقها وقصصا، إضافة إلى السيرة والتاريخ الاسلامي...، حيث يستهل أغلب هذه الجلسات بآيات قرآنية مرتبطة بالموضوع ارتباطا وثيقا، وفي كل مرة يقوم الكاتب بتفنيد الشبهة التي يطرحها النائب العام الذي يمثله في كل مرة أحد المستشرقين أو مجموعة منهم، ثم يقوم بدحضها عن بكرة أبيها، وفق منهج علمي موضوعي بعيدا عن التحيز العاطفي.

وقد كان الرد متنوعا، فتارة يرد على الشبه بآراء علمائنا ومن تاريخنا، وتارة أخرى يرد بآراء القوم وتاريخهم باعتبار الكتاب موجها لكلا الفئتين. لتُختتم الجلسة بأمر من القاضي دون إصدار حكم بالبراءة أو الإدانة، فالقاضي هنا يمثله العقل الواعي والفكر الناضج.

في الختام يمكن القول بأن هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي صنفت في مجال الدفاع عن القرآن الكريم وعن الدين الإسلامي، وهذا لم يقل عبثا، بل نتيجة للرواج التي تلقاه بين القراء، ولطريقة تأليفه الفريدة والبديعة التي لم نعهدها، والتي جذبت الفئة الشبانية على وجه العموم، فهو قد رد على شبهات المستشرقين المتعصبين والصليبيين الحاقدين، كما أنه رد أيضا عن بعض الشبهات التي طرحها المستغربين. لهذا يمكن القول بأنه قد ناقش الآراء والأفكار لا الشخصيات.

سبب وطريقة تأليف الكتاب:

بما أن شوقي أبو خليل درس في جامعة دمشق "تاريخ العرب والإسلام" فقد مر عليه ما في تاريخ هذه الأمة ورجالها من الطعن والتحريف وهذا ما لم يتقبله عقله، فقرر مستقبلا أن يرد على هذه الإفتراءات خدمة منه لدينه وأمته، خاصة من الأعداء المحترفين الذين اتخذوا القدح في ديننا وأمتنا شغلهم الشاغل.[2] وبالتالي فلا نستغرب عمله هذا، فهي قريحة عالم يدافع عن أمته، ويحرص لها حماها ويذب عن محارمها.

صرَّح المؤلف عن طريقة تأليفه للكتاب من خلال المقدمة، حيث قال بأن تأليف هذا الكتاب تم على مرحلتين اثنتين: الأولى جمع فيها شبهات للمستشرقين المتعصبين، والصليبيين الحاقدين، التي عششت في رؤوس شبابنا عن الإسلام. أما المرحلة الثانية وهي المقصد من تأليفه للكتاب، وهي الرد على هاته الشبه بطريقة فريدة وبأسلوب جديد لم نعهده وهو أسلوب " المحاكمات": متَهم، وقاض، ومتَهَم يدافع عن نفسه.[3] وبهذا يمكن القول بأن شوقي أبو خليل أبدع في كتابه هذا، حيث جعل من الإسلام متهما في محكمة، يقف بالمرصاد أما النائب العام الذي هو عبارة عن شبه لمستشرقين وغيرهم يحاولون هدم الإسلام بشتى الطرق، أما القاض فهو العقل الرشيد والفكر السديد لكل قارئ، فهو لم يفصل في كل هذه المحاكمات، انما اكتفى بالاستفسار في بعض الحالات أما النطق بالحكم فتركها للقارئ وعقله.

---

[1]– ينظر: الإسلام في قفص الاتهام، 11-21.

[2]– ينظر: الإسلام في قفص الإتهام، ص 11-12.

[3]– ينظر: الإسلام في قفص الإتهام، ص 5.

3.المطلب الثاني: منهج شوقي أبو خليل في الدفاع عن القرآن الكريم.

لقد تعددت الشبهات والافتراءات التي وجهت للقرآن الكريم وعلومه، من المبشرين الصليبيين الحاقدين ومن المغتربين المتربصين.كل واحد من هؤلاء دخل من باب يخدم مصالحه وأهواءه، إلا القلة منهم. حيث شنوا حربا ضروسا حول الإسلام والقرآن، وما تركوا زاوية منه إلا وقد بثوا سمومهم فيها.

لهذاكان على علماء هذه الأمة والغيورين على دينهم أن يتصدوا لهذه الحملات الشعواء التي يتعرض لها القرآن الكريم، منتهجين في ذلك مجموعة من المناهج والأساليب للدفاع عن القرآن الكريم وعلومه، وقد تعددت هذه المناهج واختلفت نظرا لطبيعة الشبهة المطروحة، وللطرف الذي يطرحها، فلا يستوي جاهل بالقرآن وبلغته وتاريخه مع الحاقد المتربص الذي ينفث سمومه.

1.3.الفرع الأول: التعريف بمناهج الدفاع عن القرآن الكريم.

الدفاع عن القرآن الكريم هي الأساليب والطرق المتنوعة التي يسلكها الداعية أو العالم في سبيل الرد على الشبهات التي تثار في حق القرآن الكريم وما يتعلق به، لتدفع عنه أي شك أو ريب يمكن أن يطرح من مخالف أو غيره. وهي أنواع: المنهج النقلي، المنهج العقلي، المنهج الحسي أو التجريبي، منهج الرد بأقوال القوم المنصفين منهم، المنهج التاريخي.

والملاحظة التي يجدر الإشارة إليها أن الداعية يمكن أن يستعمل أكثر من منهج في سبيل الرد على الشبهة المطروحة، ولكل منهج مميزات وخصائص ومواضع تستخدم فيها وهذا ما سنعرفه لاحق.

وعلى تنوع المناهج واختلافها بين العلماء في العد والتصنيف، قمت في هذا البحث بالتعريف بأهم المناهج التي استخدمها الدكتور أبو خليل في كتابه هذا، وعلى الرغم من عدم ذكر بعض هذه المناهج في الكتب والمراجع إلا أننا حاولنا إدراجها في البحث مع محاولة وضع مفاهيم بسيطة لها مثل منهج الرد النقلي أو منهج الرد بأقوال المنصفين...، ولقد تعمدنا إدراجهم كمناهج منفصلة وليست تابعة للمناهج المعروفة لأهميتها واستقلالها بنفسها–حسب النظرة القاصر طبعا–.

تعريف منهج الرد النقلي" الكتاب والسنة النبوية "

لقد سلك القرآن الكريم وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، في الرد على الشبهات مناهج عدة وأساليب شتى لاختلاف المدعوين في مشاربهم، وتفاوتهم في مداركهم، وتباينهم في مقاصدهم من إثارة الشبهات وعدم الإستسلام للحق. وعلى هذا سأحاول وضع تعريف مبسط لمنهج الدفاع النقلي.

يمكن القول بأن منهج الدفاع النقلي هو استخدام نصوص قرآنية أو أحاديث نبوية للرد على الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم أو السنة النبوية وغيرها من الشبه، ويستعمل هذا المنهج غالب مع المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام إذا ما زاغوا عن الطريق وانحرفوا، كما يمكن استعمله أيضا مع غير المسلمين لما فيه أدلة عقلية ومنطقية وعلمية تقنع الباحث المنصف المتجرد عن أغراض شخصية وهوى.[1]

[1]– ينظر: منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات دراسة منهجية تأصيلية، شميم أحمد بن عبد الحكيم، إشراف: بدر بن ناصر البدر، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب الرياض، 1429هـ/ 2008م، ص 368-369.

و هذه المصادر تقوم بها على الحجة، وتتضح بها المحجة؛ وذلك لما تضمنته من الأدلة الشرعية، والحجج الواضحة، والبينات والتوجيهات التي يحتاجها المسلم في حياته. كما أن الدعاة يحتاجون إليها لتتضح لهم طبيعة ما يدعون إليه، وكذلك تتضح لهم جملة من الأمور التي تساعدهم على إيصال دين الإسلام الحنيف إلى كافة الناس.[1] ولا منهج أقوى وأنجع من كلام الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام.

تعريف منهج الرد العقلي:

تعريف العقل: هو جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان، وقيل هو نور من القلب يعرف الحق والباطل...والصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الفانيات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة.[2]

أما فيما يخص تعريف المنهج العقلي فقد عرف بما يلي: استعمال الأدلة والأساليب التي يغلب عليها مخاطبة عقل المدعو لإزالة الشك والشبهة عن نفسه.[3]. أو هو النظام الدعوي، و مجموع الأساليب الدعوية التي ترتكز على العقل وتدعو إلى التفكر والتدبر والاعتبار.[4]

وبهذا يمكن القول بأن منهج العقلي يصلح تطبيقه مع المعارضين المنصفين الذين لا تحكمهم أغراض شخصية وليس المتعصبين الذين يحتكمون إلى عقولهم. فالمنصفون غرضهم الحقيقي من طرح الشبهة هو الوصول إلى الحقيقة لا غير.

تعريف منهج الرد الحسي التجريبي" المنهج العلمي":

تعريف الحس: الحس بكسر الحاء، من أحسست بالشيء. حس بالشيء يحس حسيسا: شعر به، حست بالشيء إذا علمته وعرفته.[5]

أما التعريف الاصطلاحي فهو النظام الدعوي، ومجموع أساليبه التي ترتكز على الحواس وتعتمد على المشاهدات والتجارب، ويطلق على هذا المنهج مصطلح المنهج العلمي؛ لاعتماده على العلوم التجريبية إلا أن تسميه بالحسي أو التجريبي أوضح وأدق.

أو هو مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجاوب. ويستعمل هذا المنهج أكثر مع الذين ينكرون البديهيات العقلية، ولا يأمنون إلا بالحقائق المعتمدة على الملموسات والمحسوسات.[6]

ويمكن القول بأن هذا هو المنهج المفضل للعلماء للرد على الشبهات؛ لأنه يتعلق بالملموس والمحسوس الذي لا يعاند فيه المشككون كثيرا.

---

[1] – الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، عبد الرحيم بن محمد المغدوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، 1431هـ/2010م، ص186.

[2] – ينظر: التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1403هـ/1983م، ص 152

[3] – منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات، ص381.

[4] – ينظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط3، 1415هـ/1995م، ص 208./ أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، رمضان محمد مطاريد وآخرون، 2019م، ص274.

[5] – ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ، 49/6.

[6] – أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، رمضان محمد مطاريد وآخرون،،ص281.

تعريف منهج الرد بالوقائع التاريخية:

وهو الاعتماد على الوقائع والحوادث التاريخية التي وقعت في الماضي، و التي تساعدنا في الرد على شبهة الخصوم، وبيان بطلانها، ويصلح هذا المنهج مع غير المسلمين الذين يؤمنون بالحقائق التاريخية.

ومن فوائد دراسة التاريخ التعرف على السنن الربانية وإدراكها في هذا الكون الكتاب المنظور والمقروء، فبمطالعة التاريخ بتدبر تساعد على اكتشاف هذه السنن الربانية ومعرفتها وكيفية استمطارها وجلبها أو صرفها...، وبهذا نستطيع أن نحدد الغرض المطلوب من شرعا امتثال أوامر الله تعالى الذي أرشدنا إلى التدبر والتفكر والتأمل في سننه الكونية والبشرية، الخارقة والجارية منها.[1]

تعريف منهج الرد بأقوال المنصفين من المستشرقين وغيرهم:

هي استخدام شهادات المنصفين من المستشرقين أو غيرهم للرد على الشبهات التي طرحها خصوم الإسلام عن القرآن وغيره، وهذا من أقوى المناهج التي يرد بها على المتعصبين؛ لأنه صادر من بني جلدتهم ويصعب عليهم الرد عليها أو تكذيبها.

هذه أهم المناهج التي ادرجت في البحث و التي استعملها الدكتور خليل في كتابه هذا في محاولة له للدفاع عن القرآن وعلومه.

2.3.الفرع الثاني: منهج شوقي أبو خليل في الدفاع عن القرآن الكريم.

يعبر كتاب "الإسلام في قفص الإتهام" من أهم الكتب التي زينت المكتبة الإسلامية في جانب الدفاع عن الإسلام والذب عن حرماته، كيف لا وهو يفند شبهات المستشرقين والملحدين ويرد عليها، بأسلوب علمي راقي، بعيدا عن العاطفة والأغراض الشخصية، فهو يعرض الشبهة على طاولة البحث العلمي الجاد ويرد عليها بموضوعية وبأسلوب علمي شيق يستهوي القارئ .

وقد كان للقرآن الكريم وعلومه النصيب الأوفر من هذا الكتاب، حيث تعرض الدكتور أبو خليل للرد على شبهات طرحت حول القرآن الكريم من مصدريته وعالميته، وعلاقته مع الكتب السماوية الأخرى، التناقض الحاصل فيه، وقصصه وأحكامه من الجزية و الرق...وغيرها. وفيما يلي عرض موجز لأهم الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم، ومنهج شوقي أبو خليل في الرد عليها. وإن كان المقام لا يتسع لذكر كل الشبهات وردها وتحليلها، لكن سنحاول ذكر الأهم منها فقط.

1- مصدر القرآن الكريم :

تعد مصدرية القرآن الكريم من أهم الواضيع التي بُثت فيه الشبهات والافتراءات من قبل أعداء الإسلام، فهم ينكرون أنه كلام الله عز وجل المنزل على سيدنا محمدصلى الله عليه وسلم، ليجدوا له مصادر أخرى مغايرة عن مصدره الرئيسي. وبما أن الكتاب عبارة عن جلسة محاكمة سيكون النائب العام هنا مجموعة من المستشرقين منهم المستشرق "يوليوس فلهاوزن" حيث يقول بأن القرآن الكريم من تأليف محمد-صلى الله عليه وسلم وليس من عند الله عز وجل، و يطلب من الإسلام أن يثبت بكل موضوعية وأدلة عقلية أن القرآن من عند الله عز وجل دون الاستناد على النصوص الدينية[2].

---

[1]- مناهج الدعوة-مطبوعة للتدريس-

[2]- الاسلام في قفص الاتهام، ص 23.

ليشرع الإسلام- أي الدكتور أبو خليل- في الرد على محتوى هذه الشبهة التي تمس جوهر القرآن الكريم، حيث يضع ثلاث احتمالات لمصدرية القرآن لا رابع لها، أحد هذه الاحتمالات التي اقترحها هي شبهة النائب العام، ثم يشرع في مناقشة هذه الاحتمالات واحدة واحدة.

وبما أن المقصودا هنا هو بيان منهج شوقي أبو خليل في الدفاع عن القرآن، لا الرد هذه الشبهات، سنكتفي بايراد منهج الرد على الشبهة مع بعض النماذج لا غير.

***المنهج العقلي المنطقي**: وقد ظهر هذا الأسلوب في المقارنة التي أجراها الدكتور بين القرآن وبين الحديث النبوي و كلام العرب، و إظهار الفرق الشاسع بينهم في الأسلوب والموضوعات واللغة...، كما ظهر أيضا أثناء بيان الدكتور لخلود القرآن الكريم –الذي قيل أنه من صنع محمد–، واندثار الرسائل السماوية الأخرى.

كما تجلى هذا المنهج أيضا في عدم قبول العقل والمنطق أن يكون مصدر القرآن غير العرب وغير رسول الله، أو من تأليف "بحيرى" كما قال المستشرق"نورمان دينال". –رغم الاختلاف في اسمه وتعدد الروايات التي تبطل التهمة– إلا أن العقل والمنطق لا يستوعب أن يكون هذا القرآن من طفل أمي في التاسعة–أو حتى في الخامسة ولعشرين– من عمره ، وفي فترة وجيزة، لماذا لم يحتفظ به هو أو يعلمه لأقربائه...[1].

لو اكتفى الدكتور بهذا الرد فقط لأجاد وأفاد ولرد على هؤلاء بالمنطق والعقل كما طلب، لكنه أكمل في الرد على الشبهة بمناهج أخرى.

***المنهج الحسي التجريبي**: وقد استخدم هذا المنهج أثناء الإشارة إلى الإعجاز العلمي والتشريعي واللغوي المتكامل في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم مثلا يحتوي على إعجاز علمي في الكون والحياة والطب والرياضيات يعجز نبي أمي مثل محمد أن يطلع عليه، فالعلم لم يصل إلى هذا إلا في العصر الحديث فقط.[2]

المنهج النقلي: حيث أورد مجموعة من الآيات القرآنية التي تحمل عتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يعقل أن يورد الإنسان ويثبت عتابا لنفسه يطلع عليه كل الناس؟

كما أورد أيضا آيات عديدة من القرآن الكريم تدل على عدم توافق القرآن الكريم مع المسيحية واليهودية، فكيف يقال بأن "بحيرى" أو غيره علم الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم.[3]

وبهذا يمكن القول بأن رد الدكتور على هذه الشبهة كان ردا كاملا متكاملا من مختلف الجوانب، وهذا الكلام لم يقل عبثا، بل قيل استنادا إلى المناهج الدفاعية المختلفة التي استخدمها الدكتور هنا في الرد.

ولزيادة الفائدة على ما قدمه الدكتور شوقي في رد شبهة مصدرية القرآن الكريم، يمكن أن نضيف عنصرا مهما في مجال الدفاع عن القرآن الكريم، ونقدم تأصيلا للشبهة ونبين كيف طرحت هذه الشبهة وما الذي كان سببا في طرحها في الساحة العلمية، وهذا فيما يلي:

---

[1]– ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص24-26.

[2]– ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص26.

[3]– ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص26.

التأصيل للشبهة:

أخذ المستشرقون يبحثون عن المصادر التي من الممكن أن محمد قد استمد منها معلوماته الدينية، فتاهوا في بحثهم عنها، فتارة يقولون إن هذه المصادر مسيحية وثانية يقولون إنها يهودية وثالثة إنها يهودية مسيحية معا، ورابعا إنها بعض الفلسفات القديمة، خامسا من الرهبان الذين صادفهم الرسول صلى الله عليه وسلم في رحلاته التجارية كبحيرى وأخرى من الشعراء الذين كان يستمع إلى شعرهم وخطبهم في سوق عكاظ كقس بن ساعدة، وبذلك وقع التعقيد والتخبط في بحثهم، ولم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن مصدر القرآن، ولا عن والوحي، زد على هذا أن أكثر كلامهم عن الوحي كان معطلا عن الأدلة. والسبب الرئيس من هذه الحيرة والتخبط الذي لا ينا استقرار على رأي واحد، يرتبط جذريا بإنكار الوحي، وكذلك نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

كما يمكننا أن نزيد منهجا دفاعيا جديدا، وهو منهج الرد بأقوال المنصفين من المستشرقين وغيرهم، ونستنجد بشهادة العالم البحاثة "موريس بوكاي" الذي عرف عنه الموضوعية والأمانة العلمية حيث يقول عن مصدر القرآن الكريم:" لو كان مؤلف القرآن إنسانا، فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة؟ ليس هناك أي مجال للشك: فنص القرآن الذي نملك اليوم، هو النص الأول نفسه، ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تيبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية؟ حقا إن في إشارات القرآن قضايا ذات صبغة علمية تثير الدهشة".[2] وبهذا نغلق على العنصر الذي رده الدكتور بكل موضوعية وروح علمية.

2- عالمية القرآن الكريم:

يعد موضوع عالمية الرسالة المحمدية من أهم المواضيع التي شغلت الفكر الاستشراقي منذ نشأته، حيث أنهم ينكرون بشدة عالمية القرآن الكريم، ويقولون أن الرسالة اقتصرت على شبه الجزيرة العربية فقط، وبالتالي فباقي العالم ليس معنيا بها إطلاقا؛ والغاية من كلامهم هذا هو ابعاد الإسلام على أوطانهم وشعوبهم خوفا من إسلامهم.

و الشبهة التي طرحها النائب العام هنا ماهي إلا لجمع من المستشرقين الحاقدين عن الإسلام كالمستشرق الهولندي "فنسنك"، والمستشرق "جاك.س. ريسلر"، والمستشرق "كارل بروكلمان"، حيث ادعى هؤلاء الجمع أن فكرة عموم الرسالة المحمدية لم يفكر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما كان جل تفكيره في الجزيرة العربية، وأن هذه الفكرة جاءت فيما بعد، رغم وجود عدة آيات وأحاديث تؤيدها لكن الفكرة نمت واختمرت نظرا للظروف والأحوال المحيطة بها فيما بعد.[3]

يشرع الإسلام — أي الدكتور- في الرد على هذه الشبهة الواهية .حيث جعل رده هنا مقسما إلى قسمين: الأولى رد فيه على شبهة أن الجزيرة العربية كانت كل ما يفكر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. والثاني أن هذا الدين لم يهيأ إلا للعرب.

*منهج الرد على شبهة أن الجزيرة العربية هي جل ما كان يفكر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد تنوع أسلوب رد الدكتور على الشبهة الأولى بين **منهج عقلي منطقي، ومنهج تاريخي**. حيث راح أولا بطرح مجموعة من التساؤلات المنطقية ويجيب عليها وهي :" هل يعقل أن محمدا ما كان يعرف غير الجزيرة العربية؟ وأنها كانت عالمه الذي لم يفكر في

---

[1]- آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم- دراسة نقدية-، أحمد نصري، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ، ص 48.

[2]- ردود على شبهات المستشرقين، يحي مراد، ص 245.، WWW.KOTOBARABIA.COM ص 259.

[3]- الإسلام في قفص الاتهام، ص 53-54.

سواه؟ وما هو البرهان على أن هذا الدين لم يهيأ إلا لجزيرة العرب؟ ليواصل بعدها رده بذكر محطات تاريخية بين فيها تجارة قريش مع الأمم الأخرى ومعرفتها بأحوالها، و سفر رسول الله صلى الله عليه وسلم للتجارة إلى الشام قبل البعثة، وهجرته إلى المدينة المنورة وذياع صيته في الجزيرة العربية وخارجها، ومكانته في قلوب المئات، فكيف يقال أن هذا الرجل لا يرنو بناظريه إلى ما وراء الجزيرة العربية لينشر الدعوة الإسلامية.

ثم مثَل الدكتور بشخصيات تاريخية مثل "الاسكندر المكدوني" و"نابليون" و"هتلر"...، وافتراض رغبتهم في تكوين امبراطورية تشمل العالم، وتصديق ذلك من الجميع ، لكن لما تعلق الأمر بمحمد بن عبد الله فهذا لا يتقبله عقل حر؟- أي عقل المستشرقين وغيرهم-[1].

لهذا يمكن القول بأن الدكتور قد مزج بين المنهج العقلي المنطقي وبين المنهج التاريخي، وهذا هو الأنسب لشبهة تعلقت بعالمية القرآن الكريم وانتشاره خارج جزيرة العرب وقد أجاد وأفاد فيها.

*الرد على شبهة تقول بأن الدين الإسلامي لم يهيء إلا للعرب.

يكمل الدكتور رده على محتوى الشبهة الثانية التي تقول أن رسالة الإسلام لم تهيأ إلا لبلاد العرب، وقد جعل **المنهج النقلي** هي وسيلة للدفاع والرد على هذه الشبهة، حيث جاء بمجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين عموم الرسالة، ناهيك عن تنبآته صلى الله عليه وسلم بفتحات وانتصارات خارج الجزيرة العربية...[2]

أفبعد هذا الآيات والأحاديث شك بعموم رسالة الإسلام، وأنه ليس مقصورا على جنس العرب.

هكذا كان رد الدكتور على هذه الشبهة، ويمكن القول بأن رده كان قويا مقنعا، لكن هذا لا يمنعنا أن نزيد الرد مناهج جديدة أخرى تزيد على ما قدمه الدكتور قوة وفائدة، فنأتي أولا ببيان بعض الشخصيات غير العربية التي أسلمت وذاع صيتها، لأن الإسلام جاء للعالم أجمع وليس العرب فقط، كما أننا سنستشهد ببعض الشهادات المنصفة على عالمية القرآن الكريم- منهج الرد بأقوال المنصفين ومن المستشرقين-.

*إن الحقيقة التي يثبتها التاريخ القديم والحديث هي أن المسلمين من غير العرب استشعروا عظمة هذه الدعوة وسماحة مبادئها- منذ أن وصلتهم الطلائع الأولى التي بشرت بهذه الدعوة وحملتها إلى كافة أرجاء المعمورة-، فاشرءبت نفوسهم إلى هذه الرسالة الخالدة، فآمنوا بها وأقبلوا على تعلم الوسيلة التي بها يستطيعون فهم أوامر هذه الرسالة ونواهيها وهي اللغة العربية، ومن هؤلاء من ذانت الأمة الإسلامية لآرائهم ك"أبي حنيفة" و"البخاري" و"سبويه" وغير هؤلاء كثير.[3]

*من الشهادات: المستشرق الإنجليزي "توماس كارلايل" في كتابه الأبطال وعبادة الأبطال حيث يقول:" لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب، وأن محمد خداع مزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل مازالت اليراج المنير مدة اثني عشر قرنا لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا"[4]

---

[1]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص54-55.

[2]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص55-60.

[3]- ظاهرة انتشار الاسلام وموقف بعض المستشرقين منها، محمد فتح الله زيادي، المنشأة العاة للنشر والتوزيع والاعلان، ط1، 1392هـ/1983م، ص 45.

[4]- نقلا عن: ردود على شبهات المستشرقين، يحي مراد، ص 245.، .WWW.KOTOBARABIA.COM

وشهادة المستشرق "توماس أرنولد" الذي يقول:" لم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل إن للعالم أجمع نصيبا فيها، ولما لم يكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى إليه الناس كافة،...وتدل هذه الكتب- الكتب التي أرسلها محمد إلى ملوك وعظماء ذلك العصر- دلالة أكثر وضوحا وأشد صراحة على ما تردد في القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الإسلام". [1]

كما أنه توجد نقطة مهمة يجدر الأشارة إليها، وقد غفل الدكتور شوقي أبو خليل في إيرادها وهي العلاقة الوطيدة بين الإسلام واللغة العربية.

يقول "محمد فتح الله زيادي":" لقد قضت مشيئة الله عز وجل أن يتحمل العرب وحدهم مسؤولية القيام بالدعوة الى الإسلام ونشره بين شعوب العالم، فالعرب هم الذين اصطفى الله من بينهم من شرفه بأن يكون مبلغ هذه الدعوة ورسولها. ولا بد أن نقرر أن الأرض العربية- الجزيرة العربية- هي المكان الذي اقتضت مشيئة الله أن يكون مسرح لدعوة الإسلامية، ومكانا لتجميع البشر عليها، ومن هذه الجزيرة انطلق العرب بالإسلام، وانساحوا في الأرض يحملون أرواحهم على أكتافهم لنشر دين الله بين الناس...". [2]

3- التناقض الحاصل في القرآن الكريم:

في هذا الموضوع الشبهة التي طرحت كانت من قبل المستشرق "جولد تسيهر" و المستشرق "لوسيان كليموفتش"، حيث قالا بأن القرآن الكريم فيه تناقضات عديدة، ومثل هذا الأخير بآيات خلق الانسان، وقال بأنها مختلفة عن بعضها، فتارة يقول القرآن بأن الإنسان خلق من تراب، وتارة أخرى من فخار....وهكذا

وحين جاء الدكتور شوقي للرد على هذه الشبهة أقر أولا بوجود تناقض فعلا لكن ليس فيما قيل عن القرآن، بل فيما قاله "جولد تسيهر" نفسه فهو في موضع آخر- غير هذا الموضع- اعترف بأن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من عند البشر، فهو فوق طاقتهم. لكن غلب عليه هواه وحقده فتراجع عن قول الحق [3].

يستهل الدكتور رده ببيان أصل الشبهة ومنبعها، حيث قال بأن هذه الشبهة ليست جديدة إنما هي قديمة ترجع إلى أيام التنزيل وبالتالي فقد تدارسها العلماء وردوا عليها ودحظوها عن بكرة أبيها.

يواصل الدكتور رده لهذه الشبهة بزيادة بعض الأمثلة التي قيل بوجود التناقض ، وهذا إن دل على شيء فهو دليل على قوة الدكتور العلمية والدفاعية على القرآن الكريم، فهو لم يكتفي بما طرح من الشبهات، بل جاء بشبهات أخرى في نفس الموضوع ليكون رده مخرسا لهؤلاء المفتريين. إلى جانب ذكر قصة إبليس مع الناسك، وما قام به مع الآيات حيث بترها وأخرجها من المعنى المقصود إلى المعنى الذي أراده إبليس، حيث قال الدكتور أن هذا هو صنيع المستشرقين مع الآيات القرآنية.[4]

---

[1]- الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر الشريعة الاسلامية، توماس ارنولد، ترجمة وتعليق: حسين إبراهيمحسن وآخرون،مكتبة النهضة المصرية، ط1970م، 48-49.

[2]- ظاهرة انتشار الاسلام وموقف بعض المستشرقين منه، ص 46.

[3]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص40-41.

[4]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص43-44.

والذي يهمنا هنا أكثر منهج رد الشبهة التي طرحها " لوسيان كليموفتش" ، وقد ردها الدكتور **بالمنهج النقلي**، حيث جمع الآيات التي تحدثت عن مراحل خلق الإنسان، من ماء، تراب، طين، فخار، صلصال، حمأ مسنون...، وقال بأننا عندما نرجع إلى كتب التفسير لن نجد أي خلاف أو تناقض كما ادعي. فهي تعبر في مجموعها عن مراحل خلق الإنسان خطوة خطوة...

ثم جاء بمواضع أخرى كذلك ادعي فيها وجود تناقض ، وزاد الدكتور هنا منهجا آخر إلى جانب المنهج النقلي وهو **المنهج الحسي التجريبي** في رد وجود تناقض في صفات الله عز وجل، كون الله عز وجل رب المشرق ورب المغرب أيضا...[1]

لقد كان رد الدكتور على هذه الشبهة يتمثل في المنهج النقلي والمنهج الحسي التجريبي، ولو أننا زدنا هذه المناهج منهجا جديدا وهو منهج الرد بأقوال المنصفين من المستشرقين لكان الرد ملجما لأصحاب هذه الافتراءات؛ وهذا لثقل شهادة هؤلاء في ميزان الحق و قوتها عند بني جلدتهم، فلا يستطيعون ردها أو مناقشتها، وستستشهد بأقوال البعض من هؤلاء الذين يأكدون بعدم وجود تناقض في كتاب الله تعالى..

يقول "موريس بوكاي":" ففي القضايا التي تخضع للملاحظة، مثل تطور الجنين، يمكن مقابلة مختلف المراحل الموصوفة مع القرآن، مع معطيات علم الأجنة الحديثة، لمعرفة مدى اتفاق الآيات القرآنية فيها مع العلم"[2]

يقول المستشرق "أميل درمنغام":" ...فنحن نرى ملائمة القرآن الوثيقة للأحوال، وأنه نزل يوما فيوما تبعا لمقتضيات سير الإسلام ومصالحه متناسخا، وإن لم يكن متناقضا، مقوما لأحكامه، مداريا فيها ضعف المسلمين. مجاريا لاعتراضاتهم، وعند النبي أن الرسالة فوق الرسول، وأن آية القرآن أفضل من محمد وآله" [3]

لنختم هذا الموضوع بكلام المستشرق "جفري لانغ" على عدم تناقض القرآن الكريم حيث تعتبر شهادته أقوى رد يختم به هذا الموضوع حيث يقول:" إن أحد الانطباعات الإيجابية التي تنبثق بالتأكيد من مواجهات كهذه هو أن القرآن يبدوا فعلا أنه خال من أية تناقضات حقيقية..."[4]

4-أحكام القرآن الكريم .

لقد تعرض الدكتور في كتابه هذا لمجموعة من أحكام القرآن الكريم أهمها موضوع الذمة وأهلها وما يتبعها من موضوع الجزية، إضافة إلى موضوع الرق والغنيمة...، ليختمها بموضوع المرأة. والذي يظهر من هذه الموضوعات بأنها قضايا حساسة نبي عليها الإسلام منذ بزوغه، لهذا اهتم بها المستشرقون منذ القدم وبثوا حولها الشبه والافتراءات للقضاء على الإسلام من جذوره، فهذه الشبه وغيرها تعاد وتكرر بأساليب جديدة لا غير لكن هدفها الوحيد وهو القضاء على ديننا الحنيف.

وعلى عظم هذه المسائل وتفرعها في أحكامها وتفصيلاتها، والذي لا يسع المقام هنا للحديث عنها، وعن منهج الدكتور في الرد عليها، سنكتفي بإيراد مناهج الرد على هذه الشبهات إجمالا مع الإشارة إلى صلب الشبهة عموما لأن ذلك غير مقصود.

---

[1] - ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص46-52

[2] - التوراة والانجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد،ا لمكتب الإسلامي، ط3، 1411هـ/1990م، ص 152.

[3] - المستشرقون والقر آن الكريم، محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 2004م، ، ص 325.

[4] - الصراع من أجل الإيمان، جفري لانغ، ترجمة: منذر العبسي، دار الفكر دمشق سورية، ط2، 1421هـ/2000م، ص 66

نعود الآن إلى طرح فحوى شبهة أهل الذمة والجزية، والذي طرحها هو المستشرق "يوليوس فلهاوزن" حيث اعتبر الجزية ارستقراطية حربية عربية، و قال بأن الذميين كانو يدفعون الجزية لبيت المال، لهذا كانت بمثابة الدعامة المالية للدولة، فهي أثقل من الزكاة نفسها.

جاء رد الدكتور على فحوى هذه الشبهة بمقدمة تحدث فيها عن أحوال غير المسلمين في البلاد غير الإسلامية، وما يعتريها من عنف وتعسف، واستدل بكلام المستشرق "غوستاف لوبون"، وما يعرف أيضا بمحاكم التفتيش.[1]

أما فيما يخص أهم المناهج التي استخدمها الدكتور، فقد ركز كثيرا على **المنهج النقلي**، حيث جاء بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومن سيرة الصحابة ومن بعدهم في حسن المعاملة مع أهل الذمة والرفق بهم والرحمة والتسامح معهم، حتى أنه أورد نماذج من العهود التي سجلها الفاتحون مع أهل الذمة في البلاد المفتوحة. كما أنه جاء بشهادة بعض البطاركة والمستشرقين الذين مدحوا حسن معاملة الفاتحين للذميين، وحثهم على دفعها لزهدها مقارنة بالضرائب التي كانت تدفع للسادة. وهذا يعد منهجا جديدا لرد هذه الشبهة وهو منهج **الرد بأقوال المنصفين من بني جلدتهم**، ثم بين الدكتور سبب دفع الجزية ومقدارها مع مراعات الحالة الاجتماعية لكل واحد، وبين أنها ليست عقابا ولا ثقيلة كما قيل، إنما هي مقابل حمايتهم واستعمالهم المرافق العامة للمسلمين...[2] هذا فيما يخص الذميين والجزية التي كتنوا يدفعونها.

أما فيما يخص الشبهة التي طرحت في موضوع الرق، فقد قال المستشرق "كارل بروكلمان" بأنها معضلة إسلامية، قامت عليه الحياة الاقتصادية الاسلامية أكثر من غيرها. وقد دحض الدكتور فحوى هذه الشبهة بالوقائع التاريخية، حيث أحصى مجموعة من الأمم ومعاملتها السيئة للعبيد، فقد قامت هذه الأمم على نظام الطبقية، وقد كانت تجارة قائمة بذاتها تحت إمرة النخاسين، ووصل بهم الحال بأن لا يعتبروه إنسانا أصلا فليس له أي حق –العبد– ...ثم جاء الدكتور بنصوص من العهد القديم تبيح الاسترقاق بالشراء أو السبي في الحروب...وهذا ما يسمى **بالمنهج التاريخي**.

ثم جاء الدكتور للحديث عن الرقيق في الإسلام، حيث أقر بأن الإسلام لم يلغه بطريقة مباشرة، إنما ألغاه بخطى ثابتة مدروسة وعملية، كما أنه بين سبب عدم إلغائه بصفة نهائية؛ وهذا لأسباب منها التكافؤ في المعاملة...ليأتي بعدها للحديث عن موضوع العتق ومعاملة الرقيق، وقد استخدم **المنهج النقلي** فيما سبق ، حيث جاء بآيات وأحاديث تبين كيفية عتق الرقيق وفضله، وكيفية معاملة الذين بقوا تحت الأسر.

ولنختم موضوع الشبهات التي وردت في أحكام القرآن بموضوع المرأة والإسلام، هذا الموضوع الحساس الذي قصده الأعداء لهدم الإسلام باعبارها أساس المجتمع ومربية الأجيال، فقالوا بأن الإسلام لم ينصفها وقد قلل من مكانتها ولم يساوها مع الرجل وهذا ظلم كبير.

صاحب الشبهة هنا هو المستشرق "كارادي فو" حيث يقول بأن الإسلام هضم حق المرأة وأعطاها نصف ما أعطاه للرجل في الميراث، وسمح له بالتعدد، ومنح له سلطة أكثر ...ليتولوه رد الدكتور وفق تسلسل معين[3]

---

[1]– انظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص140-141.

[2]– انظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص147-153.

[3]– الاسلام في قفص الاتهام، 2220

استفتح الرد بعنوان: حال المرأة قبل الإسلام، وهذا يدل بأن الدكتور رد محتوى الشبهة باستخدام **المنهج التاريخي**، حيث تحدث عن حال المرأة في الحضارات القديمة كالرومانية والهندية مثلا، فلا حقوق للمرأة عندهم، وهي أدنى شيء عندهم..كما جاء بنص من التوراة. وعند الكنيسة الكاثوليكية الذين جعلوا المرأة في مرتبة الثانية، وختم بنظرة الجزيرة العربية لها من وأد، وحرمان من الميراث...وخلاصة القول عن مكان المرأة في العصور القديمة أنها تملك مثل الرقيق.

أما في العصر الحديث فقد بحثت فرنسا مثلا في شأن المرأة هل هي إنسان أو لا، أما انكلترة فهي لا تعدها من المواطنين...[1] هذا موقف الحضارات القديمة والعصر الحديث من المرأة.

ثم جاء الدكتور لبيان موقف الإسلام من المرأة، وقد اعتمد على **المنهج النقلي** بكثرة، حيث أورد أيات قرآنية وفي بعض الأحيان أحاديث نبوية تبين مساواة الإسلام للرجل والمرأة، إلا في مواضع دعت الحكمة الربانية للتفرقة بينهما، مثل التعدد والطلاق والقوامة...، فالإسلام دين الفطرة والواقع.

مع إيراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحليل منطقي قويم لها وللحكمة التي شرع لها، وهذا ما يسمى **منهج الرد العقلي المنطقي**، فقد شرح سبب شرع تعدد الزوجات والحكمة من ذلك، وسبب جعل الطلاق بيد الرجل، ومنحه للقوامة ...، كما لا ننسى **منهج الرد التاريخي** الذي أقر بأن موضوع التعدد قد عرفته كل الحضارات وفي مقدمتها التوراة والانجيل. [2]

ليختم الدكتور رده بأن جاء بأراء لبعض الاستفتاءات و المكاتب والإذاعات حول المرأة ووجوب مكوثها في البيت لمنع الاختلاط وما ينجر عليه من أطفال غير شرعيين، وزيادة عدد النساء مقارنة بالرجال لأسباب، وهذا يمثل **منهج الرد بأقوال المنصفين من المخالفين.**[3] والملاحظ مما سبق أن الدكتور وحساسية الموضوع وأهميته استخدم جل المناهج الدفاعية للرد على شبهة المفترين وقد أجاد وأفاد في ذلك.

وفي ختام هذه الشبهات التي تتعلق بأحكام القرآن وفقهه، يمكن القول بأن الدكتور قد رد عليها وفق منهج علمي موضوعي رصيد، كان مزيجا من أدلة نقلية لا يعترض عليها مسلم، ولما لا غير مسلم إن كان يحتكم إلى المنهج العلمي، إضافة إلى الأحداث التاريخية التي مرت عبر العصور، والتي بينت لنا حال الشعوب قبل الإسلام ووجود أعراف وقوانين كانت من صنع التاريخ، والإسلام بريء منها براءة الذئب من دم يوسف، مع بعض التحليل العقلي المنطقي وشهادات المنصفين، قرر كل هذا أنه لا توجد أحكام شرعية تضاهي تعاليم ديننا الحنيف، وعلى علمائنا الاجتهاد في بيانها والذب عنها، لوجود أعداء كثيرين يتربصون به.

5-موضوع القدر.

هذ الموضوع الشائك الذي دُندن به على مر التاريخ بين الفرق الإسلامية، وحتى قبل الإسلام والتي اختلفت في أفعال الإنسان هل هو مخير أم مجبر، وهذا الأخير يقودنا إلى القول بأن إيمان الفرد بالقضاء والقدر يجعله معطلا عن العمل، منتظرا قضاء الله فيه، مما يجعل فيه شخصا اتكاليا متكاسلا عن البناء والتعمير في الأرض والتي خلق من أجله.

---

[1]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص222-226.

[2]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص227-230.

[3]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص 230/ 237/ 338-243.

هذا هو صنيع المستشرقين، فهم يعملون على إحياء المذاهب والتيارات المنحرفة، ويركزون على نقاط الخلاف بين الفرق الإسلامية، وهدفهم في هذا هو النيل من الإسلام بإبراز مظهر عدم الثبات في قواعده، فهم يأخذون عن الإسلام مآخذ لا تخصه إنما تخص التيارات والحركات التي كان لليهود دور في ظهورها وانتسابها للإسلام ظلما وبهتانا.[1]

هذا ما تلقفه المستشرقون وجعلوه مدخلا للطعن في الإسلام، و النائب العام في هذه الجلسة هو وزير الخارجية مسيو "هانوتو"، ويشاركه فيه الكثيرون، حيث يقول بأن الإسلام قد جمد المسلمين بيد عقيدة القضاء والقدر.[2]

أما فيما يخص رد الدكتور عن فحوى هذه الشبهة، فقد قام أولا بتحديد المعنى اللغوي لكلمة" القدر" حيث قال بأنها تدور حول جعل الشيء بمقدار مخصوص، أو وزن محدد، أو وجه معين، وجاء بآيات قرآنية تدل على ذلك.[3]

وقد جعل الدكتور **منهج الرد النقلي** من القرآن الكريم الحكم في هذه الشبهة مع تحليل منطقي رائع لمحتوى الآيات، فقد جاء بنصوص قرآنية ترد على المشركين أنفسهم الذين قالوا بأن شركهم وأعمالهم السيئة من إرادة الله عز وجل، فدحض هذه الشبهة عن بكرة أبيها، كما جاء بنصوص قرآنية تبين اختيار الإنسان لأفعاله وتحمله مسؤوليته.[4]

وفي هذه الجلسة الحساسة يتدخل القاضي بنفسه لطرح عدة قضايا على الإسلام في نفس الموضوع- وتدخل القاضي هنا يدل على خطورة الموضوع وأهميته في نفس الوقت؛ لأنه ليس من عادته التدخل في الجلسات- فاستفسر عن كون الهداية والضلال من الله عز وجل، وأن القرآن الكريم ذكر بأن كل شيء مكتوب على الإنسان قبل ولادته، وأن عقيدة القدر جعلت المسلمين متواكلين ...[5]

جاء الإسلام- يعني الدكتور- للرد على تساؤلات القاضي، حيث أنه استخدم عدة مناهج في رده، وقد مزج بينها بطريقة مدافع متيقن بقوة أقواله وحججه، حيث استخدم **المنهج النقلي** لإزالة الإشكال الذي وقع فيه القاضي، فجاء بآيات قرآنية وأحاديث نبوية تدل على أن الهداية والضلال التي بيد الله عز وجل ناتجة عن استحقاق العباد، فأصحاب الصفات الذميمة لا يستحقون الهداية عكس أصحاب الصفات الحسنة...، كما جاء بآيات تدل على سبق علم الله تعالى بما سيختاره الانسان، وأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب فيها من الناس العمل، وقوله عن فضل العامل عن الناسك....[6]

كما أنه استخدم **المنهج المنطقي العقلي**، وهذا عندما ساق قصة الفلاحين، أحدهما خدم أرضه، والآخر تقاعس، فتوقع رجل ثالث بينهما فلاح الأول خسارة الثاني، وكان هذا نتيجة لعملهما لا اجبارا منه، فقد استخدم المنطق والعقل لتقريب موضوع القدر هنا، كما أنه حلل الآيات القرآنية بمنطق وعقل رصين، جعل من تساؤل القاضي عن التوكل واستشهاده بحديث توكل الطير دليلا

[1]- ينظر: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، طارق سرى، ط1، مكتبةالنافذة، 2006م، ص 58-59.
[2]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص292.
[3]- الاسلام في قفص الاتهام، ص 292.
[4]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص 293-295.
[5]- ينظر: الاسلام في فقص الاتهام: ص 294.
[6]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص296.

كافيا للرد على شبهة المفتري، وشرح ذلك، وشرح لنا أن موضوع الاستسلام للنوازل ليس بمعنى القدر، وأن القدر يمكن أن ندفعه بقدر آخر يقابله ويعالجه كالاحتلال والثورة عليه، وكالطاعون والحجر الصحي منه، وكحصار المدينة وحفر الخندق...[1]

بعد أن ظهر اقتناع القاضي بما رد به الإسلام، تساءل عن مصدر هذه الشبهة التي الصقت بالإسلام، وقد حددها الدكتور في ثلاثة مصادر: فرقة من اليهود، اليونان، الهند والصين وفارس.ليختم القاضي تساؤلاته بالاستفسار عن فائدة عقيدة القدر، وعن سبب جمود وتأخر المسلمين.[2]

فيرد الاسلام بأن الإيمان بالقدر للرضا بما يحصل بعد تعاطي الأسباب، وأن الرضا يوصل إلى الراحة، والراحة توصل إلى السرور وعدم الحزن.أما فيما يخص تأخر المسلمين فلفقدان الإيمان في القلوب، و كونه أصبح وراثيا، وعبارة عن حركات بعيدة عن التطبيق والعمل والجد... وإلا فالإسلام قد أعز أصحابه لما جعلوه منهج حياة.[3]وهكذا كاد رد الدكتور على هذه الشبة الخطيرة ردا علميا موضوعيا نزع الشك من رأس القاضي الذي يمثل العقل السليم وفي رؤوس القارئين ولله الحمد، وما يسعنا في النقطة إلا أن نضيف كلاما جميلا في عقيدة القضاء والقدر تثلج صدورنا وتنير قلوبنا.

عقيدة القضاء والقدر كما فهمها رسول الله وكما فهمها أصحابه وعملوا بها إنما هي نعمة كبرى على معتنقيها، فانها تبعث فيهم روح الاطمئنان والاتكال على الله والاستقرار النفسي، وتملأ قلب معتنقيها بالهدوء و الراحة وتبعد عنه القلق والاضطراب النفسي والخوف والتردد، وتحفظ عليه أعصابه، وراحة باله. لأن الإنسان في هذه الحياة الدنيا معرض لكثير من المصائب وأنواع من الابتلاء، فإن لم يكن محصنا بهذه العقيدة راضيا بقضاء الله خاضعا لقدره فإنه يرهق نفسه ويحطم أعصابه...[4] هكذا أبدع الدكتور شوقي أبو خليل في الدفاع عن القرآن الكريم، وأجره على الله تعالى.

4. خاتمة:

في ختام هذا البحث المتواضع يمكننا الوصول إلى عدة نتائج لعل أهمها أن الدكتور شوقي أبو خليل أيقونة من أيقونات العلم التي سخرها المولى عز وجل لسد ثغرة من الثغرات الإسلام التي تتلقى هجوما من الغرب الحاقد، وقد وفقه الله عز في كتابه هذا للرد عن الشبهات التي تثار حول القرآن الكريم، حيث أنه قد استنجد بمناهج دفاعية مختلفة ومتنوعة للرد عن هاته الشبهات ودحضها عن بكرة أبيها، وأهم هذه المناهج المنهج النقلي الذي يعتمد على القرآن والسنة، وهذا المنهج لا يمكن للمسلم أو العاقل الفطن أن يرد هذا المنهج، إضافة إلى المنهج العقلي المنطقي والمنهج الحسي التجريبي، وهذان المنهجان لهما قيمتهما العلمية عند العلماء كما هو معروف ومتداول، كما لا ننسى المنهج التاريخي ومنهج الرد بأقوال المنصفين من القوم، وهذان لا يرد عليهم من قبل الغرب نفسه لثقلها في ميزان العلم والبحث، وقد وفق الدكتور أيما توفيق وأجره على المولى عز وجل.

[1]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص 296-298.

[2]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص 300.

[3]- ينظر: الاسلام في قفص الاتهام، ص300-303.

[4]- المستشرقون والإسلام، زكريا هاشم زكريا، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، 1385هـ/ 1965م، ص 396.. www.kotob.has.it

5. المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الكتب والرسائل الجامعية:

1-الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، عبد الرحيم بن محمد المغدوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط2، 1431هـ/2010م.

2-الإسلام في قفص الإتهام، شوقي أبو خليل، دار الفكر، ط5، 1402هـ/ 1982م.

3-أصول الدعوة ومناهجها دراسة تأصيلية تحليلية، رمضان محمد مطاريد وآخرون، 2019م.

4-آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم- دراسة نقدية-، أحمد نصري، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

5-التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1403هـ/1983م.

6-التوراة والانجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد،ا لمكتب الإسلامي، ط3، 1411هـ/1990م.

7-الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر الشريعة الاسلامية، توماس ارنولد، ترجمة وتعليق: حسين إبراهيمحسن وآخرون،مكتبة النهضة المصرية، ط1970م.

8-الصراع من أجل الإيمان، جفري لانغ، ترجمة: منذر العبسي، دار الفكر دمشق سورية، ط2، 1421هـ/2000م.

9-ظاهرة انتشار الاسلام وموقف بعض المستشرقين منها، محمد فتح الله زيادي، المنشأة العاة للنشر والتوزيع والاعلان، ط1، 1392هـ/1983م.

10- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ.

11-المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط3، 1415هـ/1995م.

12-المستشرقون والإسلام، زكريا هاشم زكريا، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، 1385هـ/ 1965م.

13-المستشرقون والقر آن الكريم، محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط1، 2004م.

14-المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، طارق سرى، ط1، مكتبةالنافذة، 2006م.

15-منهج الدعوة الإسلامية في الرد على الشبهات دراسة منهجية تأصيلية، شميم أحمد بن عبد الحكيم، إشراف: بدر بن ناصر البدر، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب الرياض، 1429هـ/ 2008م.

المواقع الالكترونية:

* ar.m.wikipedia.org .
* wab. Archive.org
* wab.archive.org
* www.kotobarabia.com